

الأمثل في تفسير كتاب الأ المنزل

[311] أمرناهم بأن يقتلوا أنفسهم (أي يقتل بعضهم بعضاً) أو يخرجوا من وطنهم المحبب عندهم لما فعله إـلاًّ قليل منهم. إـنّ مسألة "الإستعداد للقتل" تشبه - حسب قول بعض المفسّرين - مسألة "الخروج عن الوطن" من جهات عديدة، لأنّ البدن وطن الروح الإـنسانية تماماً كما أنّ الوطن مثل الجسم الإـنساني، فكما أنّ التغاضي عن ترك وطن الجسم أمر صعب، كذلك التغاضي عن الوطن الذي هو مسقط رأس الإـنسان ومحل ولادته ونشأته. ثمّ إنّ إـا سبحانه يقول: (ولو أنّهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيراً لهم وأشدّ تثبيتاً) أي لو أنّهم قبلوا نصائح النّبـي ومواعظه لكان ذلك من مصلحتهم، ولكان سبباً لتقوية أُنس الإـيمان عندهم. والملفت للنظر أنّ القرآن يعبّر - في هذه الآية - عن الأحكام والأوامر الإلهية بالموعظة، وهو إشارة إـلى أنّ الأحكام المذكورة ليست أُموراً تصب في مصلحة المشرّع (أي إـا) أو تجرله نفعاً، بل هي - في الحقيقة - نصائح ومواعظ نافعة لكم، ولهذا يقول ودون تأخير: (ولو أنّهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيراً لهم وأشدّ تثبيتاً) أي تقوية لإـيمانهم وترسيخاً لجذورها في نفوسهم. ولا بدّ أيضاً أن ننتبه إـلى هذه النقطة، وهي أنّ إـا سبحانه يقول في ختام هذه الآية (وأشدّ تثبيتاً) أي كلاًّ ما اجتهد الإـنسان في السير في سبيل طاعة إـا وتنفيذ أوامره ازدادت استقامته وازداد ثباته، وهذا يعني أن إـطاعة الأوامر الإلهية نوع من الرياضة الروحية التي تحصل للإـنسان من تكرارها قوة وثبات أكبر واستحكام أكثر، على غرار ما يحصل للجسم نتيجة تكرار الرياضات الجسمية والتمارين الرياضية البدنية، فيصل الإـنسان - نتيجة ذلك - إـلى مرحلة لا يمكن لأية قدرة أن تغلب قدرته أو تخدعه أو تزعزعه. ثمّ إنّّه سبحانه بيّن - في الآية الثّانية - الفائدة الثّالثة من فوائد التسليم لأوامر